أكاديمية الإمام الذهبي

للعلوم الشرعية

شرح

مائة المعاني والبيان

لزين الدين أبي الوليد محمد بن محمد الحلبي الحنفي المعروف بـ ابن الشحنة

(ت:٨١٥هـ)

المحاضرة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله البديع الهادي، إلى بيان مهيع الرشاد، أمدَّ أرباب النهى ورسما، شمس البيان في صدور العُلَما، فأبصروا معجزة القرآن، واضحة بساطع البرهان.

ثم صلاة الله ما ترنَّما، حادٍ يسوق العيس في أرض الحمى، على نبينا الحبيب الهادي، أجلِّ كلِّ ناطقٍ بالضاد، محمدٍ سيدِ خلقِ اللهِ، العربيّ الطاهرِ الأوّاهِ، ثم على صاحبه الصدّيقِ، حبيبِه وعمرَ الفاروقِ، ثم أبي عمرو إمام العابدينْ، وسطوةِ الله إمامِ الزاهدينْ، ثم على بقية الصحابةْ، ذوي التقى والفضل والإنابةْ، والمجدِ والفُرصةِ والبراعةْ، والحزمِ والنجدةِ والشجاعةْ، ما عكف القلب على القرآنِ، مرتقياً لحضرة العرفانِ.

أما بعد: فهذه هي المحاضرة السابعة من محاضرات شرح منظومة مائة البيان والمعاني، لابن الشحنة الحنفي رحمه الله، التابعة للفصل الدراسي الثاني، من السنة الدراسية الثالثة، في أكاديمية الإمام الذهبي رحمه الله.

فأقول وبالله التوفيق ومنه العون والتسديد:

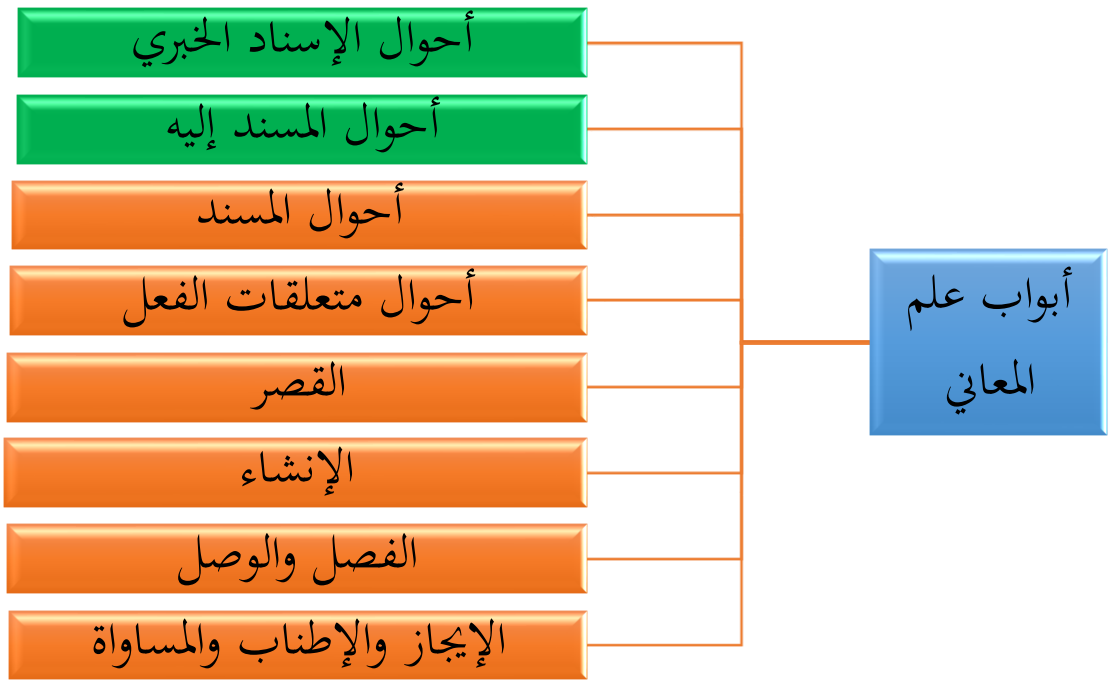

الْبَابُ الثَّانِي : أَحْوَالُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ

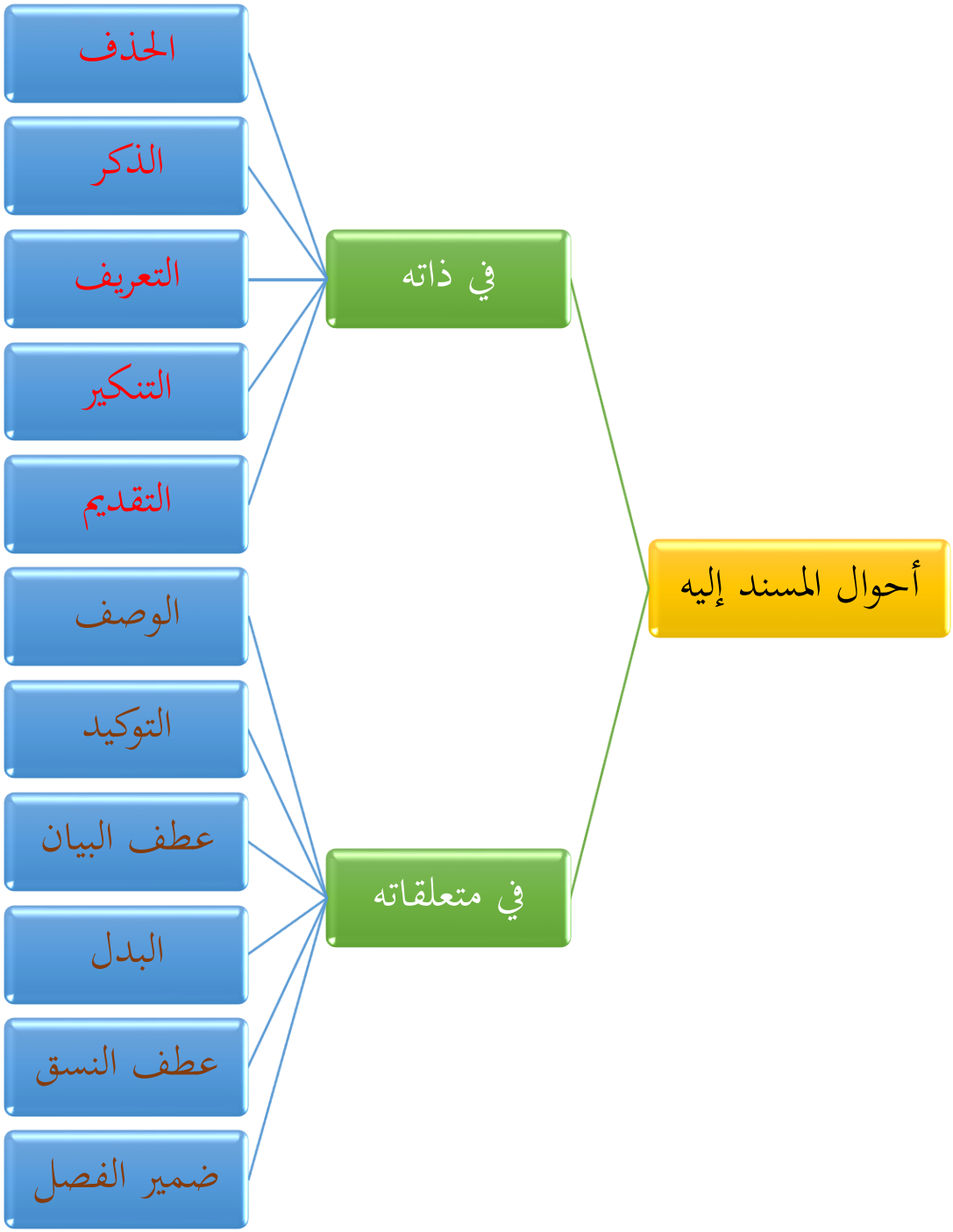

ثالثا: تعريف المسند إليه:

المعرفة: اللَّفظُ الذي يدُلُّ على مُعيَّنٍ.

والأصل في المسند إليه – المبتدأ أو الفاعل أو نائب الفاعل – التعريف، وفي المسند التنكير.

قال المصنف رحمه الله:

وَإِنْ بِإِضْـــمَـارٍ تَكُنْ **مُعَرِّفَـا** فَلِلْمَقَـامَـاتِ ٱلثَّلَاثِ فَـاعْرِفَـا

وَالأَصْـــلُ فِي الْخِطَـابِ لِلْمُعَيَّنِ وَالـتَّرْكُ فِـيـهِ لِـلْـعُـمُومِ الْـبـيِّنِ

وَعَـلَـمِـيَّـةٍ فَـلِـلإِحْضَـــارِ أَوْ قَصْـــدِ تَعْظِيمٍ أَو احْتِقَـارِ

وَصِـــلَـةٍ لِـلجَـهـلِ وَالتَّعْظِيمِ لِلشَّـــأنِ وَالإِيمَـاءِ وَالتَّفْخِيمِ

وَبِإِشَـــارَةٍ لِـذِي فَـهـمٍ بَـطِـي فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْـدِ أَوِ التَّوَسُّـــطِ

وَأَلْ لِـعَـهْـدٍ أَوْ حَـقِـيـقَـةٍ وَقَـدْ تُفِيـدُ الاسْـــتِغْرَاقَ أَوْ مَـا انْفَرَدْ

وَبِإِضَـــافَـةٍ فَـلِاخْـتِصَـــارِ نَـعَـمْ وَلِـلـذَّمِّ أَوِ احْـتِـقَـارِ

أ- بالضمير:

ب- بالعلمية:

قال المصنف رحمه الله:

وَعَـلَـمِـيَّـةٍ فَـلِـلإِحْضَـــارِ أَوْ قَصْـــدِ تَعْظِيمٍ أَو احْتِقَـارِ

العلم: هو اسم يعين المسمى مطلقا، وهو ثلاثة أقسام:

الاسم: نحو: زيد – مكة – الحرم....الخ

الكنية: نحو: أبو بكر – أم سلمة – أبو جهل – أبو لهب.

اللقب: نحو: الصديق – الفاروق – سيف الله – الأعمش – الأعرج.....الخ

وقد بين المصنف رحمه الله أن من دواعي تعريف المسند إليه بالعلمية أمور منها:

١- الإحضار: إحضار المسند إليه في ذهن السامع؛ ليتميز عن غيره، نحو قوله {وَإِذْ يَرْفَعُ **إِبْرَاهِيمُ** الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ **وَإِسْمَاعِيلُ** رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

٢- التعظيم: تعظيم المسند إليه في ذهن السامع، نحو: صلاح الدين – سيف الله، ومنه قولهم: قضية ولا **أبو الحسن** لها، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا **أبا حفص**.

٣- الاحتقار: تحقير المسند إليه في ذهن السامع، نحو قوله صلى الله عليه وسلم «**الْخَمْرُ** أُمُّ الْخَبَائِثِ فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً»

ت- باسم الموصول:

قال المصنف رحمه الله:

وَصِـــلَـةٍ لِـلـجَـهـلِ وَالتَّـعْـظِـيمِ لِـلشَّـــأنِ وَالإِيمَـاءِ وَالتَّـفْـخِـيمِ

الاسم الموصول: الذي – التي – اللذان – الذين – اللائي.

والفرق بين التعريف بالاسم الموصول وباقي المعرفات كالعلم والإشارة والضمير، أن التعريف بهذا المعرفات يكون بنفس الكلمة، بينما التعريف بالاسم الموصول يكون بصلة الموصول وهي جملة تامة، نحو قوله {وراودته التي **هو في بيتها**}

وقد بين المصنف أن دواعي التعريف بالاسم الموصول يكون بأمور منها:

١- الجهل: عدم علم المخاطب بشيء من صفات المسند إليه إلا الصفة المذكورة في جملة الصلة، فيكون اختيار الاسم الموصول في هذه الحالة أمرا لازما؛ لتحقيق البيان الذي يستدعيه الكلام، نحو قوله {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا **الَّذِي** اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ}

٢- تعظيم الشأن: قد يُتَّخَذُ اسم الموصول مع صلته ذريعة لتعظيم الموصوف بالاسم الموصول مع صلته، أو يتخذ ذريعة لبيان المنزلة الرفيعة للموصوف بالاسم مع صلته، أو يتخذ ذريعة

للتخويف من الموصوف بالاسم الموصول مع صلته، فالأول كقولك: **الذي** خَلَقَ السماوات والأرض وأتقن كلّ شيءٍ صُنْعاً، إلَهُنا.

والثاني كقولك: الذي بنَى قصر الملك هو الذي بنَى قَصْرِي، تشير إلى فخامة بناء قصرك، وأنّك ذو مكانة رفعية، ومنه قول الفرزدق من قصيدة يفتخر بها على جرير:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ***** بَيْتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ.

والثالث كقوله تعالى في حكاية ما قال شعيب عليه السلام لقومه: {وَاتَّقُواْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ}

٣- الإيماء: الإشارة إلى أنّ الوصف الذي دلّت عليه صلة الموصول هو علة بناء الحكم في الجملة.

كقوله تعالى {إِنَّ **الَّذِينَ** آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}

وكقوله {إِنَّ **الَّذِينَ** كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً}

٤- التفخيم: إرادة التفخيم والتعظيم أو التهويل، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨)}، وقوله: {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤)}.

ث- باسم الإشارة:

قال المصنف رحمه الله:

وَبِإِشَـــــارةٍ لِـذِي فَـهـمٍ بَـطِـي فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْـدِ أَوِ التَّوَسُّـــطِ

اسم الإشارة: وضع للدلالة على الشيء المشاهد المحسوس.

وهو للمذكر المفرد "ذا" وللمثنى "ذانِ – ذين" وللجمع "أولاء" وللمؤنث المفردة "ذي تي ذه ته" وللمثنى "تانِ – تينِ" وللجمع "أولاء"، وتلحقه الهاء للتنبيه، فيقال: هذا – هذي.

ثم إن كان المشار بعيدا لحقه اللام والكاف فيقال: ذلكَ – ذالكِ، وإن كان المشار إليه متوسط البعد لحقته الكاف فقط، فيقال: ذاكَ – تيكِ، وإن كان المشار إليه قريبا لم يلحقه شيء فيقال: ذا – ذي.

وقد بين المصنف أن من دواعي تعريف المسند إليه باسم الإشارة أمور منها:

١- للتنبيه إلى بطئ فهم المخاطب: إرادة التعريض بغباوة المتلقّي، إذ يُشْعِر أحياناً استخدام اسْم الإشارة بأنّ المخاطَب يحتاج لتمييز المتحدّث عَنْهُ إلى إشارة حسّيَّةٍ، وأنَّه لاَ تكفيه الدلالات الفكريّة، ومنه قوله {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}.

٢- للإشارة إلى قرب المسند إليه تحقيرا أو تعظيما: فالأول كقول الذين كفروا بشأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦)}.

والثاني كقوله {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}

٣- للإشارة إلى بُعْدِ المسند إليه تعظيما أو تحقيرا: فالأول كقوله تعالى { الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}

والثاني كقوله { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}

٤- للإشار إلى توسط بُعْدِ المسند إليه: كقولك لمن بقربك: هل تعرف ذاك الرجل.

ج- بـ أل التعريف:

قال المصنف رحمه الله:

وَأَلْ لِعَهْدٍ أَوْ حَقِيقَةٍ وَقَدْ تُفِيدُ الاسْتِغْرَاقَ أَوْ لِمَا انْفَرَدْ

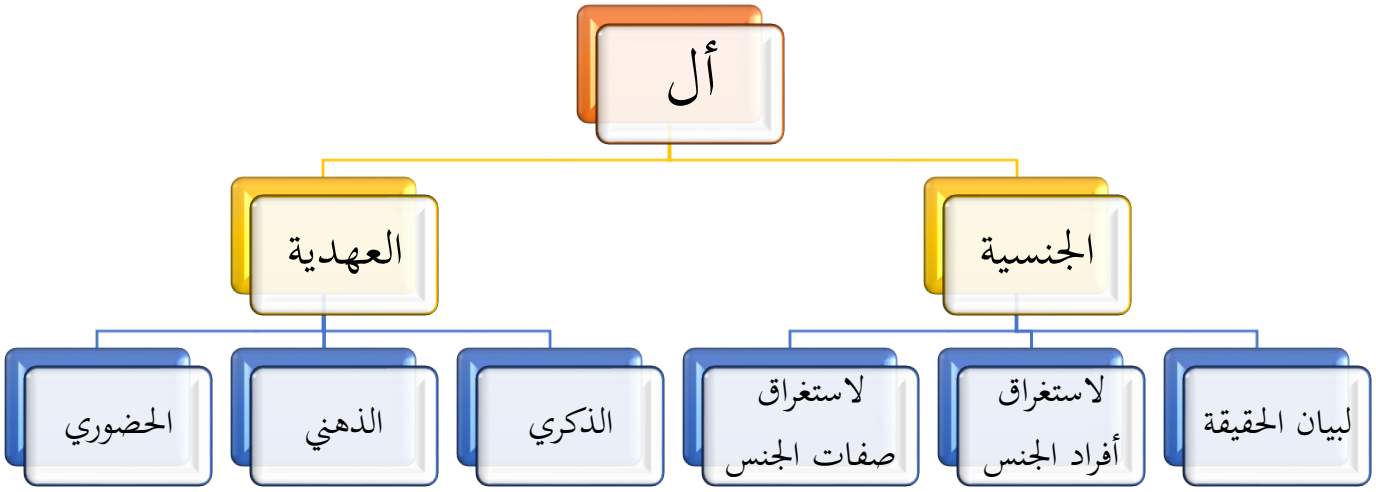

قسّم النحويّون اللاّم التي تدخل على الاسم فتفيده تعريفاً إلى قسمين: اللاّم الجنسية، واللاّم العهدية:

أمّا اللاّم الجنسيّة: (وقد تُسمَّى عند البلاغيين لام الحقيقة) فهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: اللاّم التي لبيان الحقيقة والماهية: وهي التي تدل على الحقيقة الشائعة في الأفراد، دون النظر إلى الدّلالة على عُمومٍ أو خصوص.

علامتها: هي التي لا يصحّ أنْ يستعمل بدلَها كلمة "كلّ"

كقول الله عزَّ وجلَّ {وَجَعَلْنَا مِنَ **الْمَآءِ** كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ}.

النوع الثاني: اللاّم لاستغراق أفراد الجنْسِ كلّهِم حقيقةً أَوْ عرفاً: وهي الّتي تدلُّ على استغراق أفراد الجنس في الحكم.

علامتها: يصح أن تستعمل كلمة "كل" بدلا عنها.

فمن أمثلة الاستغراق الحقيقي قول الله عزَّ وجلَّ {يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ **الإِنسَانُ** ضَعِيفاً} أي: وخلق كلّ فرد من أفراد جنس الإنسان ضعيفاً، والواقع يشهد لإرادة هذا الاستغراق.

ومن أمثلة الاستغراق العرفي قول الله عزَّ وجلَّ {وَجَآءَ **السَّحَرَةُ** فِرْعَوْنَ}، أي: سحرة مملكته، لا كلُّ سَحَرَة العالم.

النوع الثالث: اللاّم التي لاستغراق صفاتِ الجنْسِ مجازاً على سبيل المبالغة: كأن تقول لمن تريد الثناء عليه باستجماعه صفات الرجولة الكاملة: "أنت الرَّجُل" أي: أنت المستغرق في صفاتك صفات جنس الرجال.

وكأن تقول مثلاً عن المتنبي: "هو الشاعر" أي: هو الذي اجتمعت فيه كلُّ صفات الشاعر، فكأنه استغرق الجنْسَ كلّه، ومنه قول الشاعر: "أَنْتُمُ النَّاسُ أَيُّهَا الشُّعَرَاءُ".

وأمّا اللاّم العهدية: فهي ثلاثة أنواعٍ أيضاً:

النوع الأول: اللاّم الّتي للعهد الذكريّ: وهي الَّتِي يتقدَّم المعرَّفَ بها ذِكْرٌ في الكلام.

علامتها: ضابطها أن يسُدّ الضمير مسَدَّه.

كقول الله عزّ وجلّ {إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ **الرَّسُولَ** فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً (١٦)}، وَبيلاً: أي: شديداً.

فاللاّم التي في (الرسول) عهديّة، ونلاحظ أنّه يمكن أن يقع الضمير موقع لفظ الرسول فيقال: فعصاه فرعون، ويلاحظ أن اختيار المعرّف باللام العهديّة هنا إرادة ذكر لفظ الرّسول لبيان شناعة معصية فرعون لرسول ربّه.

النوع الثاني: اللاّم التي للعهد الذهني: ويُسمَّى أيضاً "العهد الْعِلْميّ" وهي التي سبق العِلْمُ بالمعرَّف بها.

كقول الله عز وجل {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي **الْغَارِ**...}

فلم يسبق ذكر للفظ "الغار" لكن سبق العلم به، فهو معهودٌ ذهناً.

النوع الثالث: اللاّم الّتي للعهد الحضوري: وهي التي يكون المعرَّفُ بها حاضراً عند التكلّم.

كقول الله عز وجل {**الْيَوْمَ** أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...}

فاللاّم التي في لفظ "اليوم" المعرِّفة له تُشِير إلى اليوم الحاضر الذي نزلت فيه الآية، وكان يوم عرفة في حجّة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ح- بالإضافة:

قال المصنف رحمه الله:

وَبِإِضَـــــافَـةٍ فَـلِاخْـتِصَـــــارِ نَـعَـمْ وَلِـلـذَّمِّ أَوِ احْـتِـقَـارِ

الإضافة: هي علاقة بين المضاف والمضاف إليه على تقدير حرف جر.

وهي قسمان:

١- إضافة لفظية: هي الّتي لا تفيد المضافَ تعريفاً ولا تخصيصاً، وهذه الإضافة اللفظية، لا تَدخُلُ في دواعي اختيار المعرَّف بالإضافة عند البلاغيين، بل هي من مُلْحَقَاتِ متعلقاتِ الفعل.

٢- إضافة معنوية: وهي نسبة بين اسمين مقترنين على تقدير حرف جر، وهي التي تفيد المضاف تعريفا أو تخصيصا، وهي المقصودة بالكلام هنا.

وقد بين المصنف رحمه الله أن لتعريف المسند إليه بالإضافة المعنوية دواع بلاغية منها:

١- الإختصار: إحضار المسند إليه في ذهن المخاطب بأقصر طريق، نحو قوله تعالى { وجاء **إخوة يوسف**}

٢- الذم: ذم المسند إليه في ذهن المخاطب، نحو قوله صلى الله عليه وسلم " تعس **عبد الدرهم**، تعس **عبد الدينار**"، وعكسه المدح نحو قولك: **أصحاب النبي** صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة.

٣- الاحتقار: تحقير المسند إليه في ذهن المخاطب، نحو قولك عندما ترى بيتا حقيرا: هذا قصرك، وقولك: ولد السارقَ جليسٌ لابنك، وعكسه التعظيم نحو قوله تعالى {سبحان الذي أسرى **بعبده** ليلا}

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم